بَوحُ المِداد لمن أحبَّهُ الفؤاد

بسم الله الرحمن الرحيم وصلاة طيبة مباركة على رسوله الكريم صلاة تفرجُ بها الهموم وتزاح بها الغموم ثم إليك أخي العزيز أحمد يؤول سلامي فالسلام عليك ورحمة من الله وبركاته تحيةً من عند الله مباركةً طيبة.

كما ليس يخفى على ذي العقل والبصيرة أن الله عز وجل في عليائه قد يبتلي بنعمه وقد يجزي ببلائه ويسيّر أقداره على الأنام في حكمة لا تكاد تدركها الأفهام وقد جفت الصحف ورفعت الأقلام.

وما أمر المؤمن في هذه الحياة الدنيا إلا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عَجَبًا لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأِحَدٍ إِلاَّ للْمُؤْمِن: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْراً لَهُ، ويصدق الله تعالى قول نبيه في كتابه الكريم في سورة الأنبياء

.{ونَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}

وأنا وابنك يا سيدي حفظه الله لك وذاك هو المنشود منه والمتوقع قد أخذنا الصبر ركابًا على ما ابتلانا الله به من السيلياك طمعًا في أجره وطلبًا لمثوبته صابرين محتسبين موكلين أمرنا لله طوعًا ومحبة ونعلم أنه لا يحرم إلا ليعطي ولا يمنع إلا ليرضي فسبحانه وهو العليم.

والحياة لمن كان بها بصيرًا ولمن خبرها، لا تمشي على خط مستقيم،بل هي على التوالي صعود وهبوط ونعمة ونقمة ورزق وابتلاء ومنحة وحرمان وإيجاد وفقد وكره وحب وبعد وقرب ومن بحث فيها عن دوام الحال فقد

طلب المحال كما قيل.

وإن في بطن الكروب لمنحًا لا تبدو للعين بدايةً والنظر من قريب لا يكشف كل شيء حتى إذا جرى الدهر ومرت السنين واتسعت العين ونظرت للأفق وكشفت البعيد رأت ما ساقها الله إليها من خير وما أبعده عنها من شر بأقداره وحكمه، وإن في طيّ ما ابتلانا الله به من السيلياك منحةً خفية ألا وهي الدخول إلى ذلك المجتمع المتكاتف والتعرف إلى شخصيات رائعة لم يجمعنا بها إلا هذا الابتلاء وإنك يا أستاذنا الكريم لمن خير ما عرفنا به هذا المجتمع.

ومنح الله تعالى ونعمه تتعدد أشكالها وصورها وقد يظن البعض أن منح الله تكون مالًا أو عقارًا أو شيئًا ماديًا وتلك نظرة قاصرة برأيي الشخصي،فأنا أرى أنه لا نعمة ينعمها الله على عبده أفضل من أن يحيطه بأهله وخاصته من أهل الله والأخلاق الحسنة والعواطف الصادقة وأنت يا أخ أحمد من هذه النعم الجليلة التي تستحق كسائر نعم الله تعالى الشكر والثناء عليه.

.

فعاطفة الأبوة الجياشة التي وهبها الله لك لم تكتفي بقصرها على ابنك حفظه الله لك بل سموت بهذه العاطفة وتكرمت بها حتى غدوت بمنزلة الأب لكل مشارك في هذا المجتمع فنراك تعطف على هذا وترفع معنويات ذاك وتستمع للجميع بصدر رحب وأخلاق سامية لم تفتأ أن حببت لك الجميع وكأن الله قد أنزل لك القبول في الأرض والحب في قلوب عباده وأنا أول المحبين.

ولم تكتفِ يا أخ أحمد من طيب أصلك وكرم أخلاقك أن تبذل الكلمة الطيبة في سبيل الأجر والثواب والمواساة،بل نراك تجود بمالك وما تفضل الله به عليك لكل من هو بحاجة وكأنك امتلكته في يدك لا في قلبك وحتى أنك لا تبخل ببذل وقتك ومجهودك ومد يد العون للمكروبين غير آبه بما في ذلك من تعب ومشقة ويطيب لي أحيانًا أن أدعوك بالرجل الذي من الجنة التي نسأل الله أن يجمعنا فيها ويرزقنا أعاليها.

ونراك تبلغ أقصى غاية الجود فتجود بمشاعرك وتشارك الناس بما هم فيه من فرح وحزن فتفرح لفرحهم وتحزن لمصابهم وتسير بينهم جابرًا للخواطر وبلسمًا لنفوسٍ نال منها التعب وكدرتها الأحزان وكأن كل واحد فيهم بمنزلة ولدك وكأنك بمنزل الوالد الحنون الذي تمسح يده الحنونة الأحزان ويسري بكلمته الطيبة ما في النفوس وكأن كلماتك الطيبة دواء وصفه الطبيب يُشفى به العليل وتسكنُ به الآلام وتتلاشى به بعد إذن الله الأوجاع والأسقام.

وبينما كان قلمي يكتب لك ويبذل حروفه محبة فيك تذكرت قول الشاعر:

ما كنتَ مثل العابرينَ بأعْيُنِي

إنّي أراك مكثْت في أعماقِي

فكم يمر بنا يا أستاذنا الكريم من خلق في مختلف مراحل حياتنا وأطوارها حتى يكثر عددهم وأسماؤهم وتزدحم بهم الذاكرة وتغص بهم الذكريات ثم يبيتون كأعداد مرت فلا نفعت ولا ضرت ولا نكاد نتذكر منهم إلا القلة التي أثرت في حياتنا وغزت تفكيرنا وغدوا قدوة لنا في بذل الخير وإغاثة الملهوف واحتساب الأجر عند الله تعالى ولعلك يا أستاذنا الكريم من هذه القلة الكريمة التي سكنت أرواحنا واستقرت في عقولنا وأحبتها قلوبنا.

وإنني لممتن لهذه الشاشة الصغيرة،إذ بينما يظن الإنسان أنه وحده فيما هو فيه إذ تنقله هذه الشاشة لعالم آخر وهو جالس على مقعده وإذ بالقلوب تتعارف والأرواح تتآلف ويلتقي الأشباه وتتقارب القلوب وتتقابل الأفئدة رغم بعد المكان وتنشأ تلك الرفقة الإلكترونية وتتعاظم مكانتها مع الوقت حتى لكأنها رفقة واقعية تعيش معك يومك وتتبادل معها مشاعرك وأخبارك ومشاكلك وليس تلقى سوى الود والحب،إذ أن الكل سواء والرابط فيما بينهم تتعدى قوته رابطة الصداقة والرفقة إلى رابطة الإخوة التي يسقي بذرتها غيث الحب والألفة حتى تنمو شجرة الحب يانعة مثمرة مع الوقت يأتيك رزقها رغدًا من كل مكان.

وكما أن ظرفي يا أخ أحمد يعلمني أن أتجنب ما لا يناسبني من أنواع الطعام حفظًا لصحتي ودرءًا للمضرة عني فإنه كذلك يعلمني حكمة عميقة في الحياة، فكم يا سيدي تلقي لنا الحياة بأشخاص لا تتحسس منهم أجسادنا بقدر ما تتحسس منهم نفوسنا وحالما يبتعدون تؤوب إلينا أنفسنا وتعود لنا راحتنا فأصبحت نفسي تنتقي من الخلائق ما ينفعها ومن الأرواح ما تألفها كما ينتقي الشاري أطايب الثمر ويلقي ما فسد عنها وأنت يا أخانا العزيز أحمد ثمرة طيبة نبتت من شجرة مباركة قد انتشر عبير أخلاقها وعبر فوح صفاتها وشذى عبير أخلاقها إلى كل من عرفها وخالطها.

وما أعظم قول رسول الله في وصفه لطبائع الناس:

الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف

وما رفع الناس قدر الذهب والفضة إلا لندرة الوجود وعزة الطلب ولو كان الذهب في أيدي الجميع لذهب قيمته وولت أيامه

وإني يا أخي أحمد إذ أشبهك بالذهب فإنه لعزة أن أجد مثلكم في كرم النفس وحسن الأخلاق وجمال الروح فمن يبذل نفسه في هذا الزمان للتخفيف عن خلقه إلا نادر الوجود ومن بعثه الله رحمة لخلقه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"الخلق كلهم عيال الله وأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله "

وعلى الرغم أن معرفتنا كانت إلكترونية ولم تجمعنا سوى الملتقيات الافتراضية فإنني والله يشهد أنني ما شعرت بأنني بعيد عنك ولو لحظة وكأننا أقارب أو جيران معتادون على رؤية بعضنا البعض، بيد أن العالم الافتراضي افتراضي وليس يغني عن لقاء وجاهي يجمعنا وكم تتوق نفسي شوقًا لليوم الذي نلتقي فيه على الواقع لنتبادل الأحاديث ونخوض النقاشات الطويلة ونتبادل خبراتنا في التعامل مع ظروفنا الراهنة والتعرف إلى هذا الوجه الحسن وهذه الشخصية الطيبة بلا وسيط إلكتروني.

وها أنت قد بلغت الأربعين ونيفًا أمضيت معظمها في حاجة عيال الله ورحمة خلقه وحوائج عباده وفي يوم ميلادك الميمون فإنني أدعو الله العلي القدير أن يمدكم بموفور الصحة والعافية وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وأن يجزل لكم المثوبة ويحفظ لكم ابنكم قرة عينٍ لكم ويجعله الله وإياكم من أهله وخاصته ويحفظ له ولكم الصحة والعافية وأن يجمعنا الله جميعًا في رحمته ويخلدنا في جنته وهو المجيب الكريم.

كتبت بقلم أخيكم ومحبكم : صالح السبيعي